

الدعوة للطاعة

من يحبه الرب يؤدبه

أعتقد أنه لا يوجد موضوع في الكتاب المقدس يلفت الانتباه أكثر من محبة الله الكبيرة لكل البشر جميعًا. ولكن الذي نتجاهله في الغالب هو حقيقة أن محبة الله وتأديبه يسيران معًا. ويلزمنا أن نتذكر أن: "الَّذِي يُحِبُّ الرَّبَّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ" (عبرانيين ١٢: ٦). بعبارة أخرى، ليس الرب إله محبة فحسب، بل هو أيضًا إله تأديب. في الواقع، إنه يقدم نفسه كإله للانضباط منذ البداية قائلاً: "لا...". ويستمر في ذلك حتى الصفحة الأخيرة من الكتاب المقدس، قائلاً: "طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ" (رؤيا ١٤: ٢٢).

للأسف، إننا في مجتمعنا، غالبًا ما ننظر إلى التأديب بازدراء، على أنه عدم محبة. ومن المفهوم أن التأديب بدون حب يؤدي إلى القسوة والدمار وإساءة معاملة الأطفال. لكن العكس من ذلك، إن تأديب الله لأولاده مملوء بالحب. إنه صالح دائمًا وهو جزء من نعمة الخلاص. قال داود: "اقْبَلْ أَنْ أُذَلَّلَ أَنَا ضَلَلْتُ، أَمَّا الْآنَ فَحَفِظْتُ قَوْلَكَ" (مزمور ١١٩: ٦٧)؛ "خَيْرٌ لِي أَنِّي تَذَلَّلْتُ لِكَيْ أَتَعَلَّمَ فَرَائِضَكَ" (مزمور ١١٩: ٧١). "الَّذِي يُحِبُّ الرَّبَّ يُؤَدِّبُهُ". قد تكون أداة التأديب معاناة جسدية أو ألمًا عقليًا أو حربًا روحية أو انقلاب الناس علينا أو محاولة إبليس أن يفعل بنا ما يريد (كورنثوس الثانية ١١: ٢٠-٣٠).

ما الذي تتضمنه كلمة "تأديب"؟ نجد فيها مجموعة كاملة من الأمور هي التدريب والتجديد والتوبيخ والتقويم والاستنارة والتنقية، وكذلك العقاب على الخطيئة. لكن تذكر أن الله لا يعاقب أبدًا إنسانًا قديسًا ليهلكه، بل ليسترده ويعيد بناءه دائمًا.

ضع هدف التأديب في جملة واحدة: "إن الله يريد أن يغير كل واحد من أبنائه بروحه القدس إلى الأبد، من مجد إلى مجد". ويبدأ هذا التدريب في اللحظة الأولى من دخول الإنسان المسيحي إلى أرض ملكوت الله. استخدم المثال الأقوى في الكتاب المقدس: اليوم الذي قبل الرب يسوع فيه بولس وأعطاه نورًا روحيًا كان هو كذلك اليوم الذي ضربه فيه بالعمى الجسدي. دعني أسألك: "هل أنت على استعداد للنازل عن بصرك الجسدي من أجل أن تنال بصيرة روحية؟" اسمحوا لي أن أكون أكثر وازوحًا. لقد تسبب الله في محنة بولس. بدأ الله تأديب بولس وتدريبه في نفس يوم قبول بولس للإيمان. ثم بعد ذلك بثلاثة أيام، رد الله لبولس بصره بعد أن أعلن الله لحنانيا: "لأنَّ هَذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَّمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ. لِأَنِّي سَأُرِيهِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي" (أعمال الرسل ٩: ١٥، ١٦). هل أنت على استعداد لتقديم حياة الراحة من أجل حياة مليئة بالألم لكي يستخدمك الله مثلما استخدم بولس؟ ما الذي أنت مستعد أن تتخلي عنه لكي يستخدمك الرب يسوع؟

قال الله إن بولس ينبغي أن يتألم. ينبغي أن يكون هذا لجميع أبناء الله. يتألم، من أجل ماذا؟ يتألم من أجل الرب يسوع، لأن ذلك يجعلك تسير مع مخلصك، وتتحول إلى شبهه، ويتمجد من خلاله. لذلك، ففي اليوم الذي يقبلك فيه الرب يسوع، سيأخذ سلطانًا عليك كأحد أواني المختارة. ويبدأ في العمل فيك ويضعك في أماكن لم تخترها لنفسك ويجعلك تفعل أمورًا لا معنى لها. وقد يجعلك تتخلي عن أمور عزيزة عليك وتحتفظ بالأمور التي تريد التخلص منها. في اليوم الذي يخلصك فيه الرب يسوع، يكون لديه مهام من أجلك. وإن بقيت معه خلال تأديباته لك، تشرق بنوره وتبدأ في تقديم الثمار.

لكن إن انقلبت على الله وعلى تأديباته، فسيتم قطعك كغصن وتلقى في النار (يوحنا ١٥: ٦). في الواقع، ليس أمرًا رائعًا أن يقوم الكرام بتقليل كرمه. يبدو كأن الكرمة ستموت، لكنها مع الوقت تعيش وتزدهر بالتقليم. لقد تم تقليم أيوب بشدة على الرغم من أنه كان رجلاً كاملاً. ففي حالته، سمح الله لإبليس بأن يبتي أيوب. لماذا يتم تهذيب أو تأديب إنسان كامل؟ لأن الله كان يحاول أن يُظهر لنا أنه يستمر في صقل أرقى جواهره. إنه يواصل تكميل أي شخص كامل بالفعل. لا أحد معفي. صلاحك لن يعفيك. أوه، هل تمت تجربة أيوب على الإطلاق. ظهر كأنه يحتضر. لكن عندما انتهى الأمر كله، أشرق أكثر من ذي قبل من أجل الرب يسوع. كانت آلام أيوب عطية، ليس فقط بالنسبة للرب يسوع، لكن أيضًا بالنسبة للكنيسة العامة، ليساعدنا جميعًا على فهم الألم.

وأثناء تدريبك، سيطعمك الله أيضًا أفضل غذاء لمساعدتك على تحقيق ذلك. ستأكل على مائدته الملكية. يلزمك نظام غذائي ملكي لكي تجتاز محاكماتك ومعاركك. عندما تموت ملكة النحل، يقوم النحل العامل بإعداد نظام غذائي خاص يحول نحلة عاملة عادية إلى ملكة. استمر في تناول الطعام على مائدته، بعد ذلك يدخل إليك مزيد من الأمور الملكية. استمر في الاحتفال معه وستظل ثيابك مغسولة بدم الحمل ومصبوغة بالعظة على الجبل. داوم الاحتفال فتصبح أعظم من منتصرين، **أَنَّهُ يُنَجِّيكِ مِنْ فَخِّ الصَّيَادِ وَمِنْ الْوَبَاءِ الْخَطِيرِ** (مزمور ٩١: ٣). داوم على الاحتفال بالوليمة معه وستلبس في أحد الأيام تاجًا من الجواهر وتشرق كالشمس في ملكوت أبيك (متى ١٣: ٤٣) ثق في ذلك.

لا تتضجر من الآمك مهما كان وجعها، بل بالحري اتفق مع بولس في قوله: **فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ الْآمَ الزَّمَانَ الْحَاضِرَ لَا تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِيْنَا** (رومية ٨: ١٨). ولا تضيع الوقت في التساؤل عن سبب معاناتك. إن أراد الله لك أن تعرف، فسيخبرك؛ وإلا فلن يخبرك. فقط توقف عن طرح الأسئلة، وتمسك بالرب يسوع ثبت عينيك عليه.

يتضمن كل برنامج التأديب القتال والاحتفال بالولائم معًا. لكن استمر فقط في الاحتفال على مائدة السيد، فتمكن من مقاومة إغراء الشكوى، أو الشعور بالأسف على نفسك أو إهانة نفسك أو التحدث بكلام فارغ مثل إيليا تحت شجرة رَتَمَة (ملوك الأول ١٩: ٤). لقد دخل مدينة رثاء الذات، فاستجاب الله له وأطعمه خبزًا ملكيًا، فسار بقوة هذا الطعام الملكي لمدة أربعين يومًا. لكن إيليا لم يستحسن هذا، فطرده الله وأقام بديلاً له. لا تتبع مثال إيليا عندما تتألم، بل اتبع مثال أيوب عندما تتألم. قال: "هُوَذَا يَقْتُلْنِي. لَا أَنْتَظِرُ شَيْئًا. فَقَطْ أَزْكَى طَرِيقِي قُدَّامَهُ" (أيوب ١٣: ١٥). "وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جَدِي هَذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللَّهَ" (أيوب ١٩: ٢٦). فكر في الأمر. عندما قال كل شيء وفعل كل شيء، لم يتم دحض رتبة أيوب بل تمت ترقية. فلنتعمق أكثر في هذا الموضوع. ولنقرأ هذه الآية أمامنا كلها. "لَأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ". من يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله. إن تأديب الله ليس سطحيًا لكنه عميق ومقدس وفعال. إنه لا يعاقب أولاده بصفعهم على أصابعهم، بل يعاقب أولاده بتوبة "لا يتوبون عنها"، توبة تدوم، وتؤدي إلى الرجوع. لا يريدك أن تكون فقط في السباق. بل يريدك أن تفوز بالإكليل. مرة أخرى، يتطلب ذلك انضباطًا شديدًا طول عملية التدريب كلها. والرب يسوع هو مدربك الذي يدربك طول الطريق حتى النهاية عندما تضع الجوائز عند قدميه. تذكر كلام الكتاب المقدس: "وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لَا يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا آخِرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بَرٍّ لِلسَّلَامِ" (عبرانيين ١٢: ١١). التأديب مؤلم وجزء كبير منه داخلي، آلام داخل النفس. ولكن كما يبدو أن آلامك تمزقك أحيانًا، يصبح الرب فيها أعلى طول الوقت. بينما تحتل وتحقق الانتصارات، تستمر في الاقتراب من يمين الرب إلى الأبد. ابتلع الحبة، واشرب الكأس المرة، وخذ دواءك. لا تبصقه. احتمل وانتصر من خلال التسبيح. تذكر أن بولس وسيلا كانا سجينين تلطخ ظهراهما ملطخة بالدماء ووضعت أقدامهم في المقطرة الحديد. كان هذا تأديبًا قاسيًا. كان ذلك قسوة. نعم، حقًا، كان عليهما أن يرتبا نفسيهما من الداخل، واستغرق الأمر بضع ساعات لاستعادة ثقتهما واتجاههما بشأن ما هو أعلى وما هو أسفل. ولكن بحلول منتصف الليل، تمكنا من أن يللمنا نفسيهما معًا

ويقتربا من مائدة المأدبة وكانا مستعدين لتسبيح الرب. "وَنَحْوِ نِصْفِ اللَّيْلِ
كَانَ بُولُسُ وَسِيلاً يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ اللَّهَ، وَالْمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا" (أعمال
الرسل ١٦: ٢٥). سمع الله ذلك، وسمعه المسجونون كذلك. ومن داخل
جروح هذين الرجلين انبثق تسبيح وحدثت معجزات. "فَحَدَّثَتْ بَغْتَةً زَلْزَلَةً
عَظِيمَةً حَتَّى تَزْعَزَعَتْ أَسَاسَاتُ السَّجْنِ، فَأَنْفَقَتْ فِي الْحَالِ الْأَبْوَابُ كُلَّهَا،
وَأَنْفَقَتْ قُيُودُ الْجَمِيعِ" (أعمال الرسل ١٦: ٢٦). ونال حارس السجن
الخلاص. حياة الألم لديها قدرة أكبر على أن تصنع ثماراً للرب يسوع أكثر
مما تفعله حياة الراحة. يحدث شيء ما، شيء قوي وجميل يخرج في
النهاية من التأديب الذي تناله. إنه قانون روعي أن الحياة الجديدة تخرج من
الموت: "الَّذِينَ يَزْرَعُونَ بِالْذُّمُوعِ يَحْصُدُونَ بِالْإِبْتِهَاجِ" (مزمور ١٢٦: ٥).
بدون التأديب لا يكون للحب مضمون. "مَنْ يَمْنَعُ عَصَاهُ يَمُوتِ ابْنُهُ، وَمَنْ
أَحَبَّهُ يَطْلُبُ لَهُ التَّأْدِيبَ" (أمثال ١٣: ٢٤). أو تأمل في هذه الآية: "رَبِّ الْوَلَدِ
فِي طَرِيقِهِ، فَمَتَى شَاخَ أَيْضًا لَا يَحِيدُ عَنْهُ" (أمثال ٢٢: ٦). لا تحفظ ابنك من
الألم. فالألم معلم عظيم. يبني الشخصية، ينقي الروح ويطهرها. إنه يشجع
روح الخادم، وهو المدخل إلى العظمة، ليس من خلال تأكيد الذات ولكن
من خلال خضوع الذات.
ابتهج بالألمك، وستحصد إكليلاً لنفسك ومجدًا للرب يسوع.

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA